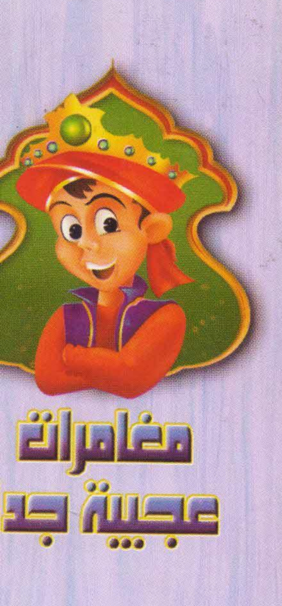

مغامرات مؤمن
27
جوهرة
المتاهة المخيفة
دار الدعوة



- سلسلة مليئة بالإثارة والتش
- أغـرب الرحـلات والمفارق
- تجمع بين المتعة والمعرف
- لا غنى عنها في الرحلات والبيت والموا

جوهرة المتاهة المخيفة

وتقدما نحو الباب الضخم وحمل مؤمن المفتاح وما إن وضعه فى قفل الباب حتى ظهرت مملكة الشر فرأى مالم يره من قبل فى أى مكان .. قلعة رهيبة .. لها صحن واسع جدرانة تقطر بالدم. والأفاعى ترعى على السقف وتتدلى منه وتتصارع مع بعضها أما الأرض فهي مسلحة بعقارب سامه وفى الوسط كان ملك الشر قابعاً فى ما يشبه القفص الضبابى فى مهابة ورعب . له وجه حاد النظر وقرنان معقوفان . ويخرج شعاع أحمر من عينيه فى اتجاه ما ينظر اليه

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع
٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفاكس / 3901914 - 3907998

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً ..

27

جوهرة

المتاهة المخيفة

الطبعة الأولي
١٤٢٠هـ -١٩٩٩م

رقم الإيداع القانونى :١٦٥٢٣ / ٩٩
االترقيم الدولى: 977-253-246-4

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي :٢ش منشا -محرم بك - الإسكندرية .
ت :٤٩٠١٩١٤-٤٩٠٧٩٩٨
فاكس :٥٩٥١٦٩٥

جوهرة

المتاهة المخيفة

تاليف / علاء الدين طعيمة
رسوم / يسري حسن




بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن مؤمن يتوقع يوماً أنه سيمر بمغامرة وغريبة مثل مغامرة المتاهة المخيفة ولقد رأى منها مالم يره من قبل، وعانى فى أهوالها متاعباً جمة.. فكيف كانت هذه المتاهة؟ وأين كانت تقبع جوهرتها الجميلة؟

خرج مؤمن في هذه المغامرة إلى بلاد بعيدة جهة الشرق الأقصى حيث أخبره التاج بذلك. خرج لا يحمل إلا سيفه وقوساً أهداه له أحد الجنود فى إحدى المغامرات السابقة وبعض المؤن لزوم الرحلة.

وكالعادة لم يكن يعرف من أين تبدأ المغامرة حينما وصل إلى مجموعة قرى متناثرة تلتف فى

تناثرها حول وادٍ أخضر تحفة الجبال وتقع غابات لا نهاية لها وراء هذه الجبال، وبدا له عندما وصل أن هذا المكان فى عزلة تامة عن بقية العالم .

كانت الجبال التى تحيط بالقرى قد حفرت عليها الطبيعة وعوامل الزمن أشكالاً مختلفة لتماثيل ضخمة لمخلوفات غريبة لا هى بالآدمية ولا الحيوانية.

سار مؤمن يتوغل فى الحقول وهو ينظر إلى الفلاحين وهم يعملون فى الزراعة، وعلى رؤسهم قبعات هرمية ملونة ولهم وجوه شاحبة وشوارب رفيعة أما النساء فكن نحيفات دقيقات الجسم لا يفترقن عن الرجال فى الملبس الفقير.

كان التعب قد ألم به وأتعبته الرحلة الطويلة..

فلم يجد مثل ما يقصد إليه الغريب من مكان للراحة. إلا أن كوخاً فقيراً خاوياً جذبه برطوبة جوه وظله الحنون فألقى فيه المتاع ثم أستلقى على ظهره يتنسم عبير الهواء الصيفى الجميل.

وما كاد يرتاح قليلاً حتى وجد مجموعة من الناس يقفون فوقه وينظرون إليه كأنه أعجوبة من أعاجيب الزمان.

ـ السلام عليكم .

رد أحدهم بلغة عربية ركيكة :

ـ وعليكم السلام.. من أنت.. ومن أين أتيت؟

ـ أنا مؤمن.. جئت من القاهرة، من مِصر..

نظر بعضهم إلى بعض متعجبين من كلامه، فأدرك

أن الذى رد عليه هو الوحيد الذي يفهم كلامه فبادره:

ـ سيدى

ـ لا تقل سيدى.. فهذا لقب لا يمنح إلا لمن أتى عملاً كبيراً يفيد الناس حتى يعطوه إياه.

ضحك مؤمن وقال له:

ـ على العموم مازلت صغيراً على أن ألقبك بسيدي.. ما اسمك؟.

ـ يبدوا أن وراءك سر كبير.. لا بد أن تؤدى لهؤلاء القوم التحية المتعارف عليها حتى يسمحوا بتركك وشأنك وإلا اعتبروك عدواً لهم.

أعتدل مؤمن فى جلسته وهم ما يزالون فوق رأسه

وسأله :

ـ وكيف تكون التحية ؟

قال الشاب :

ـ أن تقوم واقفاً وتحنى رأسك على كفيك المتعانقين أمام وجهك .

ـ ولمن أؤدى هذه التحية ؟

ـ لكل واحد تقابله فى هذه البلد .

ـ يا إلهى . . .

ـ لا تتعجب هذه عاداتهم . .

قام مؤمن وأدى التحية كما علمها له الشاب فبادلوه بمثلها ثم انصرفوا ولم ينصرف الغلام فقال له مؤمن :

ـ لماذا لم تنصرف ؟

ـ لأننى أريد أن أقف على حقيقة أمرك .

ـ سأحكى لك كل شئ فأنا لا أكذب و لا اخادع . . لكن قبلاً لى سؤال أرجوا أن تصدقنى الإجابة عليه .

ـ وما هو ؟

ـ لقد قلت عن أهل القرية أن لهم عادات . . ، قلت : لهم عادات ولم تقل لنا عاداتنا ، ألست من أهل القرية ؟

ـ آه . . آه . . منك . . ذكاؤك يسبقك يا غلام .

ـ أليست هى الحقيقة ؟

ـ بلى . . والآن هل أدعوك للراحة فى منزلى ؟

توجه مؤمن برفقة الشاب القوي إلى منزل بنى من

الغاب المتين الذى ربط إلى بعضه بفتائل مجدولة من ألياف نباتية شديدة. وتركه الشاب ليرتاح ويتناول طعاماً ساخناً وينام أيضاً حتى صباح اليوم التالى. ثم أتاه فأيقظه:

ـ هيه.. أظن أنك ما أتيت تقطع رحلة شاقة من القاهرة إلى هنا لتنام؟

قام مؤمن يضحك ثم قال:

ـ الحق معك.. لكن كنت فى حاجة إلى النوم.. ماذا سنفعل الأن؟

ـ تناول الفطور ثم نتريض فى الحقول ونتعارف ونتصارح.

ـ آه.. أهم شئ أن نتصارح.. هيا إلى الفطور..

فمازلت أشعر بالجوع.

وتناولا سوياً إفطاراً لذيذاً لا يفترق كثيراً عن إفطار الفلاحين فى مصر فهو من منتجات الأبقار والدجاج والخبز اللَّدِن الطري. وبعد ذلك قاما يتمشيان حول الحقول: ومؤمن يحدثه عن مغامراته.

- يا إلهى.. أنت غلام عجيب يا أخى.. كيف تجرؤ على القيام بكل هذه المغامرات وحدك ؟

- الله دائماً معى.. ها.. بعدما سمعت حكايتي.. هلا صارحتنى بحقيقتك.. من أين أنت ؟

- اسمع يا أخى.. أنا مسلم مثلك.. لكن لا أحد هنا يعرف عني ذلك.. وإسمى ليس «شوجورا» كما سمعتهم ينادوننى البارحة.. بل إسمى «عثمان»



وأهلي يقطنون مكاناً يسمى إسلام أباد وبلادنا الباكستان.

-آه.. مرحباً.. أنا أسمع عن بلادكم الجميلة.. ولكن.. لماذا تركتها وحضرت إلى هنا؟

-إنها قصة طويلة.. لكن أنا سعيد بوجودك.. لأننا على ما أظن تقاربنا فى معظم الجوانب.. وإن شاء الله ستكون أهدافنا واحدة.

-الحمد لله.. هل تقص لي حكايتك يا عثمان ؟

-ما رأيك.. ما رأيك.. هل تذهب إلى البيت أولاً لنتناول الغداء ثم تتكلم فى كل شئ..؟؟

لم يجد مؤمن من صديقه الجديد أى إقبال على التعاون وإن كان يلمس فيه عاطفة وود وإحترام.

كان عثمان شاباً قوياً مفتول العضلات.. ناعم شعر الرأس أسوده.. له أنف رومانية وشارب رفيع وفم مبتسم غالباً.. بشرته قمحية اللون تلمع عيناه بذكاء كبير ويزيد على مؤمن بما لا يقل عن خمسة أعوام.. ويبدو عليه سمات المغامرين ذوى الحنكة والحكمة.

وبعد أن تناولا الغداء أحس بالخجل من سؤال عثمان عن سر حكايته، أما الأخير فلم يتفوه بأى شئ، أخذ الحديث بينهما يدور حول باكستان ومصر وشرق آسيا، ولقد حكى مؤمن عن كل مغامراته..، وبدا الأمر يأخذ شكلاً مختلفاً عن ذلك.. أن مؤمن أصبح هو الذى يتكلم فى حين كان عثمان يسمع

فقط.. ومضى على ذلك الحال أسابيع قضاها مؤمن فى التجول والتمتع بغرائب حياة الحيوان وطبيعة الأجواء المختلفة والحديث مع عثمان. ورغم ذلك فقد غلب عليه الحياء بعدما لمس حرص عثمان على عدم الإفصاح عن مكنون صدره فلم يسأله عن ذلك مرة أخرى، وإن كان كل ليلة وهو يضع رأسه على الوسادة يتساءل عن سر ذلك. ومضى أكثر من ثلاثة أشهر على ذلك الحال.. وقرر مؤمن أن يغادر ولكن عثمان منعه وهو يجمع متاعه.

ـ لا لن تذهب إلى أى مكان يا مؤمن.. ستبقى هنا معى.

ـ وما الداعى إلى وجودى هنا؟.. لقد قضيت فترة

استجمام لم أقضها من قبل.. ثم أننى لم أتعود على الخمول والدعة والكسل..

ـ أعرف كل ذلك.. أعرف ياصديقى.. ليلة واحدة.. ليلة واحدة فقط يا مؤمن.. وسأترك لك حرية الاختيار.. إما أن تبقى أو تذهب..؟

ـ ليلة أخرى؟.. ما الداعى لذلك.. ويا ترى ماذا ستزيد ليلة أو تنقص..؟

ـ طاوعنى يا مؤمن.. طاوع عثمان.. والأمر لك بعد مرور هذه الليلة .

ـ نعم.. الليلة أريد أن أصارحك بأشياء لم تعرفها من قبل.

ـ أشياء لم أعرفها من قبل.. وما هى؟

تركه عثمان فى قيلولة خفيفة لينام استعداداً لسهرة طويلة وذهب إلى بعض شئونه ثم عاد عشاءً فوجد مؤمن يجلس أمام النافذة فى انتظاره.

فسلم عليه ثم جلس وتناولا الطعام وخرجا إلى حوش البيت حيث القمر يغمر بنوره الأرض وأوقد عثمان جزعاً من الفحم وأخذ يعد الشاى الساخن:

ـ والأن يا مؤمن ماذا تريد أن تعرف عنى؟

ـ نعم؟ هل تجيبنى عن سؤالى الذى سألته لك، ما هى حكايتك؟

ـ سأخبرك بكل شئ.

ـ صدقنى يا عثمان.. تعلمت من قبل أن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه.. وأعتقد أن احتفاظك

بسرك جعله لا يعنينى فى شئ.. لكنك الآن أتيت لتخبرنى بكل شئ.. أريد أولاً أن أعرف السبب الذى جعلك تسلك الأمرين الواحد تلو الآخر.

ـ أى أمرين؟

ـ أن تكتم عنى كل شئ طوال هذه المدة ثم تنوى الآن التصريح بكل شئ جملة واحدة..؟؟

فقال عثمان ضاحكاً:

ـ نسيت يا صديقى أن المسلم يجب أن يكون كيّساً فطناً.. يحرص على ما ينفعه.. ألم يقل الرسول ﷺ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان..؟

ـ ماذا تقول ؟

ـ لا تتعجب يا مؤمن.. لوكنت فى كل مغامراتك

تعلم الناس دينهم وترشدهم إلى الصواب فهذا لا يدل على أنك أعلم من فى الأرض.

ـ نعم.. إن فوق كل ذى علمٍ عليم.

ـ الحمد لله..

ـ ولكن ما قلته الآن لم يجل بخاطرى بالمرة.. لم أوارى على أحد من الناس أمرى أبداً.. وكلما قابلت أحداً حكيت له كل شئ وبمنتهى الصراحة.

ـ خطأ كبيراً يا مؤمن.. كبير جداً .. فأنت لا تعرف عدوك من صديقك .. وأنك تعرف الناس دائماً لأول مرة .

ـ حقاً .. ولكني لا أستطيع أن أداري أو أخادع :

ـ حياتنا يا مؤمن في الدنيا حرب بين الخير والشر ..

الحمد لله الذي هدانا لأن نكون أهل الخير والدعوة إليه .. وجعلنا نحارب الشر .. والحرب تستلزم منا أن نكتم أمرنا عن عدونا .

ـ ولكنى لم أكن عدواً لك يا عثمان .. !!

ـ هل كنت تعرفنى من قبل؟

ـ كلا .

ـ كيف عرفت أننى لست عدواً لك؟

ـ قلبى أحس بذلك .

ـ جميل .. إن كان الله قد أعطاك حاسة لا تكذب .. فإننى لا أملك هذه الحاسة .. ولكن أيضاً قد تخونك هذه الحاسة مرة .. فلا بد أن تلتزم جانب الحذر مع من تعرفهم لأول مرة .. اقتصد فى كلامك ولا تَبُحْ

بأسرارك وبكل بساطة.. وعفوية.

ـ لماذا؟

ـ لأن الذى تصارحه قد يكون عدواً لك ويستخدم أسرارك ضدك.. وكثير من الناس.. إذا وجدوك كثير الكلام.. فإنهم يقللون من شأنك.

ـ ماذا؟

ـ نعم .. قليل الكلام كثير الإحترام والعكس صحيح يا مؤمن .

ـ كثير الكلام.. قليل الإحترام ومتى إذن أصارح صديقى الجديد وأكاشفه عن مكنونات صدرى يا عثمان؟

ـ بعد أن تعاشره فترة طويلة.. تعرف فيها طباعه

وتمتحن أخلاقه وتطمئن إلى خصاله.. عندئذٍ يمكنك أن تباسطه دون خوف .
ـ آه .. آه منك .. الآن أنا نجحت في امتحانك لي لهذا أردت أن تكاشفني بخط سيرك ؟
ـ نعم: مرحباً بك يا مؤمن والآن أعد حاجاتك إلى موضعها ودعنا نحتسى الشاى.

عاد مؤمن عن قراره وأحس أن هناك مغامرة على وشك الحدوث وخرج هو وعثمان إلى حوش البيت حيث أخذ الفحم النباتي ينضج لهما المزيد من الشاى:
ـ ها.. هات ماعندك يا عثمان. شرد عثمان يفكر، ثم قال:
ـ أنت تعرف يا مؤمن.. أننى غريب عن هذا المكان..

ولقد أتيت منذ ما يقرب من ثلاثة أعوام.. لا بد إذا أن تعرف سبب حضورى إلى هنا وتركى لبلادى وأهلى..! انظر يا مؤمن إلى تلك الجبال التي تحيط بالقرى وبالسهل الأخضر الفسيح.

ـ أى مكان فيها على التحديد.

ـ هذا الجبل العملاق الذي يلفه الضباب ..

ـ ماذا فيه؟

ـ فيه أخى.. ولكنى لا أعرف بالتحديد أين يكون..

ـ أخوك؟

ـ نعم.. أخى الأكبر.. الذى ربانى بعد وفاة والدينا.. لا تظن أنه شاب صغير.. بالعكس إنه فى أعمار الشيوخ الآن..

ـ وما الذى جعله يختفى فى الجبل ؟

ـ أخى رشاد كان عالماً يبحث فى آثار القدماء.. أفنى عمره كله فى معرفة أسرار التاريخ ينْقب ويبحث ويسافر باحثاً عن الحقيقة.. ولم أكن أحب ذلك.. فكل أهتمامى كان موجهاً إلى دراسة الزراعة والفلاحة حتى إننى غدوت أفضل من يعرف نوعيات الأرض ووسائل الرى وأنواع النباتات ومقاومة الآفات.. ولولا ذلك ما كنت أجد عملاً فى هذه الحقول، بالرغم أننى لا أملك أرضاً أزرعها لنفسى حتى الآن..!

ـ قل لى ماذا جرى لأخيك يا عثمان..؟

ـ صرح لى رشاد ذات مرة أن هذه الجبال تخفى

وراءها حضارة شعوب قديمة وصلت إلى درجة عالية في علوم الفلاحة والزراعة.. وقال لى أن اكتشاف هذه الأماكن سيضيف لفلاحة الأرض علوماً لا يعرفها أحد الآن، وأنها سوف تحدث تقدماً فى زراعة الصحراء وتحلية الماء المالح وزراعة محاصيل جديدة.. ولأول مرة كنت أجد نفسى فى شغف لمعرفة كل شئ عن رشاد.. ولم يكن ذلك الاهتمام منى إلا دافعاً له على مواصلة البحث. حتى جاء ذات يوم وأخبرنى أنه سيأتى إلى هنا ويستخرج الأسرار.

ـ وهل فعلها ؟

ـ نعم وللأسف لم أساعده لانشغالى فى أعمالى.. وتركته يأتى إلى هنا ثم مضت علينا فترة طويلة لا

أعلم أخباره.. فلما طالت غيبته حضرت بنفسي وتركت كل شئ وبحثت عنه فلم أعثر له على أثر، وقال شيخ القرية أن رشاد ذهب ناحية جبل الضباب ثم انقطعت أخباره تماماً.

- يا إلهي... وأنت هنا منذ ثلاث سنوات ولا تعرف مكانه؟

- المكان أكبر وأعقد مما تتخيل يا صديقي.. أنا أذهب إليه مرة كل إسبوع.. وفي كل مرة أعزم على عدم العودة إذا وجدت طريقاً يوصلني لأخي.. ولكن يمض النهار وكذا الليل ولا أعثر على شئ فأضطر للعودة.. ولكن قبل حضورك يا مؤمن كنت قد يئست تماماً من العثور عليه.. ومنذ أكثر من شهر

فقط.. بينما كنت أنت تغط في نوم عميق.. ذهبت إلى آخر مكان وآخر أمل وآخر مرة.. فعثرت على مدخل نفق صخرى.. فلما أردت الدخول أصابنى الخوف.. كما أننى لم أتوقع رؤيته فلم يكن معى أى شئ يعيننى على البحث، فعدت إليك، وكل يوم أجمع ما تطوله يداى من أشياء تنفعنى فى البحث عن أخي.. خاصة الحبوب والخبز والماء..

ـ آه.. وأردت أيضاً أن تخبرنى.. هل أصلح لمرافقتك في رحلتك للبحث عن أخيك أم لا..

ضحك عثمان وقال:

ـ هل توافق يا مؤمن؟.. هل توافق على مرافقتى فى رحلتى الشاقة للبحث عن أخى رشاد؟

وفى صباح اليوم التالى كانا يقفان أمام النفق المظلم فى جبل الضباب بعد أن قطعا مشواراً طويلاً منذ الفجر بعيداً عن القرية وشعر مؤمن بالمجهول يناديه من باطن الجبل:

ـ عثمان.. ما أدراك أن رشاد قد دخل هذا المكان؟

ـ قلبى يا مؤمن.. ثم دعنا نتفحص المكان جيداً.. لدى الكثير من المشاعل.

كانت بداية النفق فى ضوء النهار تكفى للدخول بضعة أمتار أما بعد ذلك فلا يكاد يبين، فأوقد عثمان شعلة وتقدم ووراءه مؤمن ببضعة خطوات ثم نظر أسفل منه وصرخ:

ـ مؤمن.. مؤمن.. أنظر.

نظر مؤمن فإذا لفافة ورقية طويت بعناية ووضعت في منتصف الطريق بطريقة تلفت النظر .. انحنى عليها عثمان وفتحها وأمسك مؤمن الشعلة ثم أخذ يقرأ ما فيها :

ـ مؤمن .. إن رشاد بالداخل .. هذه رسالة منه لى .. كيف عرف أننى سأتبعه ؟

ـ ماذا قال فى الرسالة يا عثمان ؟ .

ـ يقول أنه بدأ رحلة الاستكشاف وأنه سلك هذا النفق ويخبرنى أنه سيترك لى رسالة فى كل مرحلة يصل إليها .

ـ يا إلهى .. علينا يا عثمان إذاً أن نسلك الطريق داخل النفق ولكن .. بحذر شديد ..

- لا تخش شيئاً يا مؤمن.. إن مجرد إحساسي بوجود أخي في هذا المكان أراحني كثيراً.. كما أن رسالاته ستكون لنا بمثابة دليل حتى لا نضل الطريق.

- حسناً.. هيا بنا نحضر متاعنا ونبدأ بسم الله الرحمن الرحيم.

وعادا فحملا المتاع على ظهريهما ودخلا وفي يد عثمان المشعل يتقدم مؤمناً، وكلما توغلا في النفق الصخرى شعرا بالخوف، وكانا يسيران حثيثا. وظلا على تلك الحالة ساعة أو أكثر:

- عثمان.. وما بال هذا النفق لا ينتهى إلى شئ..؟

- الجبل كبير عظيم يا صديقي.. ولا يعقل أن نتوقع أى شئ الآن..، إذ لم نعثر على أى رسالة أخرى من

رشاد.. أرجو فقط أن تكون على حذر وامسك السيف بيدك.. فقد يكون هناك وحش يسكن هذا النفق. ولم يكد عثمان يتم كلامه حتى صرخ واهتزت الشعلة في يده وقبل أن يتدارك مؤمن الأمر كان هناك أسد ضخم يأتى من داخل النفق يزأر زئيراً مخيفاً.. وقع عثمان أرضاً وتدحرجت الشعلة جانباً وهجم الأسد..، ولكن مؤمناً كان أشد ثباتاً من صاحبه.. فهذه أمور قد إعتادها من قبل.. وأدرك أن النجاة فى شعلة النار فانحنى عليها بسرعة ووقف بها فوق عثمان الذى كان يصرخ كالجريح واندفع الأسد نحوهما.. فلما أخذ مؤمن يشيح بالنار فى وجهه توقف وأخذ يناور ويناوش محاولاً النيل من



أحدهما :

ـ عثمان . . كفى صراخاً . . كفى وافعل شيئاً .

ـ آه . . أسد . . يا إلهى . . سيلتهمنا . . لقد ضعنا . .

كان الأسد عنيداً يريد الفريسة التى أتت إليه بنفسها ولكن مؤمن الشجاع أخذ يدفع النار فى وجهه ويضغط عليه ليخيفه وصرخ فى عثمان :

ـ عثمان . . إنزع القوس من ظهرى وإسحب سهماً من جعبتى وافعل شيئاً .

وعلى الفور قام عثمان مرتعداً وأخذ سهماً من جعبة مؤمن وسحب القوس ثم سدد القوس فى إتجاه الأسد :

ـ عثمان . . أرجو ألا تخطئ . . لو أخطأت لضعنا . .

سدد السهم إلى بطنه.

وكانت صورة الأسد في تردد النور مع الظلام تهتز وتزيده رهبة ولكن عثمان أحكم التسديد بينما كان مؤمن يتصبب عرقاً. فانطلق السهم بأقصى قوة ليستقر في بطن الأسد فأسقطه من فوره أرضاً.

ـ مؤمن.. هل قُتِلَ الأسد.؟

ـ الحمد لله.. الحمد لله يا عثمان.. لقد قمت بعمل رائع.

ـ أنا؟.. لقد انكشف الأمر يا مؤمن.. أنت الشجاع البطل. لولا جرأتك لأكلنا الأسد.. أما أنا فقد ثبت جبني وهلعي.. شكراً لك يا صديقي.. ومن الآن أنت القائد.. لابد أن أعترف بذلك.

ضحك مؤمن وهو ينظر إلى الأسد المحتضر ثم قال:

ـ هيا بنا يا صديقي.. والرأى شورى بيننا..

وهكذا مضيا قدماً فى طريقهما خلال النفق حتى أوشك المنظر على التبدل:

ـ مؤمن.. ماذا ترى؟

ـ أرى أن الفق قد انتهى ونحن مقبلان على مغارة واسعة.

وما هى إلا خطوات قليلة حتى ألفيا نفسيهما فى مغارة لا يرى لها آخر.. والصخور تملأ سقفها كأنها إبر حادة تتصل أطرافها بالأرض.. وشعرا ببرودة شديدة في هذا المكان:

ـ مؤمن.. أنا أشعر بالبرد الشديد

ـ وأنا أيضاً.. ولكن ألا يوجد نهاية لهذه المغارة؟.. هيا نتقدم فى أى اتجاه عسى أن نجد أملاً.. أو طريقاً آخر أكثر وضوحاً.

ـ المكان يا مؤمن شديد الظلام وأظن أننا بحاجة إلى شعلة إضافية.. تاها في الممرات وتحركا معهما شعلتين.. ولكن الظلام الدامس كان يبتلع أى ضوء.. وأخذا يسلكان الطرق الملتوية دون هداية:

ـ مؤمن.. ألم نأت لهذا المكان من قبل..؟

ـ أظن عكس ذلك.. لأن الأماكن كلها متشابهة فى كل شئ.. ما العمل يا عثمان.

ـ لا أعرف.. ليتنا ما تركنا النفق.. الآن فقط لن

يمكننا الرجوع.. لقد فقدنا النفق يا مؤمن.

كاد عثمان أن يصاب بالهستريا.. لكن مؤمن أمسكه من ذراعيه وصرخ فيه:

ـ عثمان.. أبشر.. إن الله معنا.. هناك رسالة ثانية.. أنظر هناك..!

قفز عثمان إلى الرسالة المطوية وفتحها وأخذ يقرأ بينما يتردد صدى صوته فى الأجواء:

ـ أخى عثمان.. أنت الآن فى مكان فظيع.. لقد أمضيت أكثر من إسبوع وأنا أحاول إيجاد طريق للخروج أو العودة للنفق.. والحمد لله.. لقد وجدت منفذاً.. لقد وضعت لك الرسالة فى المكان الذى أعتقد أنك ستصل إليه حتماً كما قادتنى المغارة له..

فلتشكر الله على رسالتى.. وعليك بتنفيذ ما يأتى من تعليمات.. سر عشر خطوات تبعاً للسهم المنحوت على الجدار الصخرى أمامك ستجد بعد ذلك صخرة مدرجة .. تبدو كأنها انقطعت من أعلى.. إصعد عليها ستجد مكاناً أكثر إتساعاً ويأتيه النور من مكان لم أعلمه حتى الآن.. الله معك.. وسأوافيك برسالات تالية بإذن الله.. أخوك رشاد.

لم يكد يُنهى كلامه حتى كان مؤمن يقف على بعد عشر خطوات ينظر للصخرة.

ـ تعالى يا عثمان.. فلنصعد.

ـ يا إلهى.. كيف اكتشف ذلك؟ إن الرائى لها لأول

مرة يظن أن هذه الصخرة الملتوية لا علاقة لها بالسقف. وتمكنا الصعود حوالى عشرة درجات ثم خرجا من فتحة ضيقة جداً ليجدا نفسيهما فى مكان فسيح يأتيه الماء من عين فى بطن الجبل ويجرى الماء إلى ثقب صغير ثم إلى مكان مجهول:

- الحمد لله.. هذا المكان المنير أحسن حالاً من سابقه يا مؤمن.. أنظر هناك نباتات جميلة.. انظر انظر يامؤمن لقد ازداد النور.

- هناك مكان ما ياعثمان يسقط فيه ضوء الشمس وينعكس هنا ويبدو أن السحب قد إنقشعت لتوها.

- مؤمن.. هيا فلنعّد الطعام.. أحتاج للأكل.. أنا أشعر بجوع شديد

جلسا إلى جانب عين الماء وتناولا الطعام واستلقيا الساعة ولم يكن هناك أى شيء مثير غير صوت خرير الماء. إلا أن الانعزال الرهيب عن العالم والسكن فى بطن جبل كاد يصيب مؤمناً بالاختناق إذ تعود دائماً على الحرية والإنطلاق.

ـ مؤمن.. ألا تلاحظ أى شئ.

ـ ألاحظ أن المكان كأنه علبة لا منفذ لها غير الذى دخلنا منه.. ولكن انتظر.. انتظر.. قام مؤمن يتمشى فى المكان ليبحث عن وجود الضوء وراح يدور حول نفسه.. الضوء يأتى من مسام الجبل الكثيرة.. وفجأة إنحنى على حجر بجانب خط الماء المنساب فى هدوء ورفعه وصاح:

ـ عثمان.. عثمان.. رسالة جديدة.. يبدو أن رشاد لم يترك لنا فرصة للحيرة.. الحمد لله .

قرأ عثمان الرسالة ثم أخذ ينظر لعين الماء ويديه فى خصره.

ـ ماذا فى الرسالة يا عثمان؟

ـ شئ عجيب وغريب.. يقول رشاد أنه سيسلك مكاناً لا غير. وهو الغوص فى عين الماء.. وأنه ينصحنى بأن أتبعه.. لقد جُن رشاد يا مؤمن.. عين الماء؟

ـ يا إلهى.. وهل هذه العين تفضى إلى مكان آخر يكون فيه حياة؟

كانت عين الماء ضيقة الفوهة وينبع منها الماء كأن

هناك من يدفعه من أسفل.

ـ ماذا ترى يا عثمان؟

ـ لا بد أن أتبع كلام رشاد.. فإما أن نجد طريقاً أو نجده غريقاً فنخرجه.. إسمع يا مؤمن.. هذه الفتحة لن تسعنا سوياً.. سأنزل وأغوص أنا أولاً.. بعد ذلك.. تتبعني..

أخذ عثمان حبلاً وربط طرفه على وسطه وخلع سترته وأعطى بقية الحبل لمؤمن وقال وهو يغالب الخوف:

ـ مؤمن.. فلتبق بجوار العين ومعك طرف الحبل.. اسمعني جيداً.. كلما هززت لك الحبل تعرف أنني أحتاج لترخية أكثر فتدلي مقدار أطول منه.. فإذا

توقف اهتزاز الحبل.. فعليك بالغوص خلفي بعد أن تربط طرف الحبل بأى حجر كبير.. اتفقنا.

- توكل على الله يا عثمان.

كان الغوص فى العين شيئاً خطيراً.. فعلى عثمان أن يمتنع عن التنفس فترة لا يعلم مداها وكذلك مؤمن فيما بعد وجلس عثمان على حافة العين ثم دلى رجليه وأخذ نفساً عميقاً ثم ألقى بنفسه بهدوء ومؤمن يراقبه بقلق شديد. وأخذ مؤمن يرخى الحبل وعثمان يهزه كل فترة.

واشتد الظلام فى باطن العين وعثمان يجتاز المسافة لأسفل بشجاعة وبسالة وكلما توغل فى منحنياتها الصخرية شد الحبل وهزه فيعطيه مؤمن طولاً أكبر..

وحدث أن التف الحبل على صخرة متشعبة وحاول عثمان أن يفك العقدة بسرعة قبل أن يختنق ولكن الحبل التف على كتفيه وطوق رقبته.. أخذ يشد الحبل ويهزه حتى يجذب مؤمن الحبل ولكن مؤمناً كان يزيد فى إرخاء وتدلية الحبل مما سبب لعثمان مشكلة أكبر..

وأخذ تيار الماء يعقد الأمر وأصبح عثمان فى حال لا يحسد عليه وكان زيادة طول الحبل سبباً فى انعدام الاتصال بمؤمن الذى كان فى أشد القلق.. خاصة بعد سكوت عثمان تماماً عن تحريك الحبل.. ولم يجد بديلاً للغطس مباشرة.. ونسى فى غمرة القلق أن يربط طرف الحبل وأخذ يغوص بسرعة عالية لا

يستطيع رؤية أى شئ إلى أن وصل إلى موضع عثمان الذى كاد أن يموت غرقاً فلما أحس بمؤمن تماسك أكثر وأدرك مؤمن المشكلة فأخرج خنجرة وقطع الحبل فانفلت عثمان من المأزق وبدلاً من أن يكمل المشوار اتخذ طريقاً سريعاً للعودة عسى أن يلتقط الهواء ويتنفس وينجو من الإختناق أما مؤمن الذى كان فى منتصف الطريق.. يحمل سيفه وقوسه.. فقد آثر أن يكمل الطريق مهما كلفه الأمر.. وانطلق يدفع الصخور بيديه فينطلق بسرعة.. معتقداً أن عثمان يتبعه حتى لاح له ضوء ينير الوسط المائى شيئاً فشئاً فاندفع وأنفاسه المكتومة تحثه على الإسراع حتى خرج برأسه للهواء وابتسم إذ كان يسبح فى



مسقط شلال مائى صغير هو أصل العين التى مر خلالها بمنتهى الشجاعة.

خرج مؤمن من الماء ونسى عثمان وهو يطالع ما حوله.. فقد هاله صرح ضخم رهيب لم ير مثله من قبل إنه مكان مكشوف فى حضن الجبل قد يكون فى أعلى قمة له.. تراه السماء وتغذيه الشمس بشعاعها ورأى بوابة ضخمة عملاقة لواجهة قصر مخيف أسطورى، على جانبى البوابة تماثيل لمخلوقات عجيبة غريبة وفوق البوابة تماماً وجه إنسان شرير فاتحاً فمه كأنه سيلتهم شيئاً ويلف الضباب هذه الواجهة من أعلى وأحس مؤمن بأن موسيقى مخيفة تدق خلف الواجهة. فمكث أمامها قليلاً وقبل أن يدنو منها

تذكر عثمان الذى عاد راجعاً وجلس على حافة العين خائفاً. وأدرك أنه لا ينبغى التراجع وأن عثمان سوف يأتى إليه عاجلاً أم آجلاً.. وهكذا تذكر أن يبحث عن رسالة رشاد قبل محاولة اقتحام الصرح العجيب.. وأخذ يبحث عن الرسالة فى كل مكان ثم أخيراً وبعد أن كاد ييأس عثر على ورقة أصغر من أخواتها السابقات ملفوفة بجانب أولى درجات السلم المؤدى إلى البوابة وعلى الفور قرأ ما فيها:

ـ أخى عثمان: هذه أخطر رسالاتى إليك.. فقد لا أستطيع أن أكتب إليك رسالات أخرى ولكن عليك بالبحث فقد أترك لك واحدة هنا أو هناك.. أنا خلف هذه البوابة العملاقة وإننى بطريقة يطول

شرحها إكتشفت المكان الذى سأجد فيه بغيتى فعليك باتباع تعليماتى بدقة يا عثمان.. حتى تفتح هذه البوابة يجب أن تلقم الفم المفتوح فوقها حجراً فإذا نجحت فسوف ينفتح الباب.. قد تجد أشياء غريبة.. كن حذراً.. الباب مفتوح أمامى.. لن أستطيع كتابة أى شئ آخر.. الله معك يا أخى الله معك.

طوى مؤمن الورقة ووقف ينظر للباب والوجه الذى يعلوه بفمه الفاغر ثم تناول حجراً وأستجمع قواه ثم قذف به فى الفم فسمع صوت دقاً وطبلاً شديداً وزمجر الباب ثم انفتح على مصراعيه.. تقدم مؤمن ببطء شديد وحذر وقد استل السيف وقبض

عليه بشدة إذ أن الصرح استقبله بدخان كثيف ينبعث بهدوء كأن باطنه يموج بالضباب.

وكان عثمان يبكي أمام العين ويقول لنفسه:

« ماذا أفعل؟.. لماذا يتملكني الخوف؟.. كدت أن أعبر هذا المانع المائي وأدرك أخي.. ترى يا مؤمن.. هل عبرتها أم غرقت؟.. لو أتأكد من عبورك.. لعبرت وراءك.. أخشى.. أخشى.. ولكن.. ولكن.. الغريق لا بد أن يطفو على سطح الماء.. لم يَطْفُ أحد حتى الآن.. لو غرق أخي لكانت العين طفحت به أو بمؤمن.. إذاً هما سالمين.. لا بد أن أعبر.. يا رب.. هل ستعطيني القوة؟...

كان مؤمن يتصبب ماء وهو يتقدم نحو المجهول

وخيل إليه أنه يسمع أصواتاً بشرية تأتى من بعيد..
وتمنّى لو أن الضباب ينقشع حتى يرى جيداً.. وأخذ
يتساءل: أنى لى أن أعثر على رسالة أخرى لرشاد..
أين أنت يا رشاد؟

ولم يكد يتم سؤاله إذ بعجوز شريرة يتطاير الشرر
من عينيها تصدمه وهى تضحك بصوت عالٍ وشعرها
كأنه ثعابين ولكن مؤمن الذى تعوّد على المفاجآت
ثبت لها ثم شهر السيف فى وجهها ويبدو أنها لم
تعبأ بالسيف بقدرِ ما نظرت لوجهه تتأمله وبدأ
ضحكها يتبدل بكاء وتحول الشر فى ملامحها إلى
خشوع وقبل أن يسألها قالت:
- ياإلهى.. لم أر من قبل إنساناً فى وجهه كل هذا

النور.. نورك يكاد يحرقنى يا غلام.. انتظر لا تتكلم.. أنت تبحث عن رشاد أليس كذلك. اسمع.. لا تتكلم لقد اجبتك يا غلام لأننى أول من رآك هنا.. إذا أردت الوصول إلى رشاد.. سوف أمكنك من ذلك ولكن شريطة أن تؤدى لى خدمة.. خدمة إذا نجحت فيها فلسوف تأخذ صديقك ومعه كل ما كان يبحث عنه من مواد.. ماذا قلت..؟ الآن تكلم؟

كان مؤمن فى حيرة من أمره.. هل يعدها قبل أن يعرف طلبها؟

ـ إذ كانت مهمتك فى الخير فأعدك بإنجازها بإذن الله وإن كانت مهمتك فى شر فلن أفعل .

ضحكت العجوز الشريرة حتى كادت تقع على الأرض ثم قالت:

- خير؟.. هنا فى أرض الضباب لا يوجد خير.. كل شئ لا يعنى إلا الشر.. اسمع يا غلام مهمتك هى القتل.

- لا.. لن أفعل.. هذا هو الشر بعينه.

- انتظر ولا تسبق القدر يا غلام.. أنت ستفعل.. نعم.. لأن غريمك هو ملك المملكه الضبابيه.. الذى يسيطر على الشر ويبثه فى كل مكان.. هذه يا غلام مملكة من مماليك الشيطان ومهمة كل من فيها سرقة كل شئ يحبه الإنسان وخصوصاً العلم والعلماء.. فى هذا الصرح يا غلام مات عشرات



العلماء.. يجذبهم ملكنا بسحر علومه الزائفة منها والحقيقية حتى يأتي إلينا بقدميه.. منهم من يخدعه العلم فيكفر بالله.. ويظن أن الدنيا ليس لها خالق ويصبح جندياً من جنود إبليس في الأرض، ومنهم يا ولدى من يعرف الحقيقة ويزداد إيماناً وقرباً من الله وهنا يقتله الملك الجبار.. لقد سئمنا نحن الشعب هذا المكان من أفعال الملك ونريد أن نرتاح.

ـ ترتاحون؟.. الأبالسة ينقطعون عن الشر؟.

ـ لن ينقطع الشياطين عن أذى بنى آدم ولكن لقد تعبنا.. يا ولدى.. نريد راحة.. راحة من العمل.. اسمع..، بعملك هذا سوف تريح البشر منا فترة طويلة.. أليس هذا خير؟

ـ بل هو الخير بعينه.. من يحلم أن يقتل أحداً من ذرية إبليس اللعين؟

ـ تحفظ يا غلام.. واعلم أنك أنت الوحيد بما فى قلبك ووجهك من إيمان الذى يقدر عليه فكلنا لو اجتمعنا عليه ما قدرنا على قوته وبطشه وجبروته.. ماذا قلت؟

ـ موافق.. والله المستعان.. هل لديك خطة؟

ـ لا.. لو كان فى قدرة خيالى أن يجد خطة لنفذتها.. واعلم أنه بقى فى حياة العالم رشاد ثلاثة أيام.. إما أن تنقذه أو تهلكه.

ـ أهلكه؟.. الله المستعان.. والآن هل تدلنى على مكان مَلِككم هذا .

ـ أهكذا بهذه السهولة..، هو فى عرشه.. ستسير مسيرة يوم أو أكثر فتجد أمامك غيوماً وضباباً، كن حذراً إذا حاولت السير عليه ستسقط لأنك ستكون فوق السحاب.. أتفهم؟؟

ـ إذن كيف اجتاز الغيوم.. هل أطير فوقه؟.

ـ هاهاها.. تطير؟ هوذا الجنون بعينه يا غلام.. اسمع إذا وصلت إلى منشأ الغيوم ستجد جذع شجرة يمتد من تحت قدميك ويختفى فى الغيوم. عليك السير عليه .

ـ أسير عليه وهو مُختفٍ فى الضباب ؟

ـ تحسس بقدميك.. وكن حذراً فلو زلت قدمك تكون نهايتك بعد ذلك..!

ـ هل.. وماذا بعد؟

ـ اذا اجتزت الطريق بسلام ستجد نفسك أمام قلعة الملك على بابها تنين له لسان يقذف النار فى وجه من يقترب من القلعة..، اسمع يا غلام.

وبعد أن عرف مؤمن الطريق من الإبليسة العجوز.. سار حسب إشارتها وهو يعيد فى ذهنه ما سمعه وكان الطريق ضبابياً أيضاً، يتبين الأرض التى يسير عليها لكنه لا يستطيع أن يرى أبعد من ذلك فى أى إتجاه بل كلما تقدم اتضح له رؤية لاتزيد عن أقدام معدودة . وأخذ يفكر كيف أن العجوز الماكرة علمت أنه يريد إنقاذ رشاد بأى طريقة ولكنها استغلت ذلك فى جعله يطلب رأس الملك

الشيطانى.. ثم بعد أن وعدها أخبرته أن رشاد مع مجموعة من العلماء فى سجن تحت عرش الملك.

فى هذه الأثناء كان عثمان فى وضع سيئ إذ فقد القدرة على العودة خارج الجبل ولم يهتد إلا للعين التى كانت تتحداه كلما نظر إليها وإلى مائها المتدفق بقوة. فقرر أن يعبرها حتى لو كان الثمن حياته. ولقد سحب الحبل من قاعها ثم تدلى وأخذ نَفساً عميقاً وغاص فى العين ولكن أسرع من المرة السابقة لتلافى الإختناق، وبعد رعب سيطر على حسَّه إستطاع أن يجتاز المرحلة الخطرة وأصبح فى نفس المكان الذى خرج إليه مؤمن من قبل.. وكان مؤمن ذكياً.. إذ دأب على ترك رسالة رشاد حتى يقرأها

عثمان.. ويعرف الأخير ما الذى يجب عليه عمله وقرر أن يلحق بمؤمن بأسرع وقت ومضى اليوم الذى حددته العجوز لمؤمن ووصل إلى الكان الذى وصفته له وهو فى غاية الإعياء، ورأى حافة الأرض تحت قدميه فأدرك أن الخطر يكمن فى الأسفل وبحث حتى وجد جذع شجرة يظهر ثم يختفى فى الضباب آثر أن يتراجع بضع خطوات حيث استلقى بعد أن تناول طعامه فكان أول طعام يذوقه من فترة.

وكان عثمان يسير على أثره وتقابل والعجوز الشريرة فأخبرته خبر مؤمن وأخيه وأعارته جواداً ليلحق بمؤمن سريعاً ويعاونه على قتل الملك.

وقضى مؤمن الليل كله مستلقياً يفكر ولم يشأ أن

يقدم على شئ حتى يبزغ النهار، فقد ينقشع الغيم ويقتل الخطر.

ويبدوا أن ذلك التأخير مكّن عثمان من قطع مسافة كبيرة في الطريق إليه.. ولكن لم يلحق به بعد، ثم أن مؤمن قد جمع العزم على عبور الجسر الخفى وكله إصرار على الانتصار، وضع مؤمن قدمه على جذع الشجرة القوى كان يظنه ثابتاً.. ولكن الجذع تمايل واهتز.. فانحنى عليه ومسكه بيده. وأخذ يهزه ثم قال:

« يا مؤمن يا مسكين... ما الذى تقدم عليه.. أتسير على جذع غير ثابت فوق السحاب؟ ولا ترى موضع قدمك» ثم نظر إلى قلعة الملك فى الجهة

الأخرى ورأى التنين الرهيب يلوى رأسه وعنقه فى جميع الاتجاهات محذراً كل من يفكر فى الاقتراب.. ولم تكن المسافة طويلة لكنها فى غاية الخطر.. قال مؤمن فى نفسه:

« ما الذى أخشاه .. هذا الجذع فوق السحاب.. أخشى السير عليه.. ماذا سأفعل إذاً يوم القيامة.. عندما يعبر الناس فوق الصراط المنصوب فوق جهنم؟.. أخشى السير على جذع لا أراه.. وأنسى الصراط الذى هو أرفع من الشعرة وأحدّ من السيف؟.. اللهُ المستعان.. اللهُ المستعان».

تقدم مؤمن ليعبر قمة الجبل إلى الناحية الأخرى كى يقطع رأس الفساد.. وأخذ يتحسس رويداً بقدمه

الإنحناءات والالتواءات فى الجذع، إذا عايناه لرأينا رأسه فقط تبرز من وسط ضباب كثيف كأنه يسبح فى بحر عميق، وكان قلبه يضطرب بين جناحيه ولما أصبح فى منتصف الطريق اهتز وكاد أن يسقط وذلك عندما سمع صراخ عثمان، فتوقف ثم أخذ يستدير ببطء شديد، فلما رآه شعر بالفرحة وبعض الأمان لكنه لم يقدر على الكلام حتى لا يختل توازنه إلا أن عثمان أخذ يصيح :

ـ مؤمن.. الحمد لله على سلامتنا يا صديقى.. كيف الحال عندك يا أخى؟.. سآتى بعدك..؟ كن حذراً

استدار مؤمن مرة أخرى والجذع يهتز تحت قدميه وتذكر أن عثمان إذا حاول العبور سيزيد من إهتزازه

وقد يسقطان سوياً ، فاستدار بهدوء ولكن الجذع اشتد وارتج وتأرجح فوق السحاب إذ أن عثمان فعلها ولم يكن أمام مؤمن إلا الجلوس على الجذع والإمساك به بكلتا يديه . فلما نظر عثمان ولم يره ظن أنه سقط فانهارت مقاومته وركبه الخوف ففعل كما فعل مؤمن وأحتضن الجذع وزحف فوقه . . ، أما مؤمن فقد تمكن من المرور حتى جاوز الخطر . . ووجد نفسه وجهاً لوجه مع التنين ،وتذكر كلام العجوز الإبليسة . . كان التنين يقذف ناراً من فمه تحرق أى شئ حتى الحجارة فلما رأى مؤمن إشتدت ثورته وأخذ يمد رقبته للأمام ويقذف اللهب فى إتجاهه ، ولكن مؤمن عندما لمست قدماه اليابسة أحس بالأمان وزاده هذا الشعور قوة

وثباتاً وأدرك أن السيف لن يجدى مع التنين، فأستل القوس وشد سهماً ثم أطلق نحو الرأس الرهيب. وتوالت الضربات الواحدة تلو الأخرى والسهم وراء الآخر، وكلما زاد فى ذلك زادت ثورة التنين وضرب بأطرافه كل شئ وقذف النار فى عشوائية مخيفة..، ولكن مؤمن لم يتزعزع.. بل أخذ يرشقه محاولاً فى كل مرة أن يصيب إحدى عينيه..، ثم أفلح ونجح وخرّ التنين صريعاً، وإذا عثمان يخرج من الضباب لا يكاد يصدق نفسه وكانت لحظة اللقاء والعناق بين الصديقين حارة..، وبعد ذلك خرق مؤمن عين التنين بالسيف وأخرج منها مفتاح القلعة كما أخبرته العجوز من قبل:

ـ والآن يا عثمان.. فلنفتح باب القلعة ولكن على حذر فالجوهرة التى تبطل عمل الملك وتشل حركته فوق فوهة بركان.

ـ أعلم أعلم.. لقد قابلت العجوز الشريرة وحكَت لى كل شئ.. فى الحقيقة أنا كنت خائفاً عليك يا مؤمن.. لم أتصور أن تقابل التنين.. أنت غلام غير عادى يا مؤمن.. لقد أتيت عملاً رائعاً..

ـ لا عليك يا عثمان.. هذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.. الحمد لله.. هيا بنا يا عثمان .

وتقدما نحو الباب الضخم وحمل مؤمن المفتاح. وما إن وضعه فى قفل الباب حتى ظهرت مملكة الشر

فرأى مالم يره من قبل فى أى مكان.. قلعة رهيبة.. لها صحنٌ واسع جدرانه تقطر بالدم، والأفاعى ترعى على السقف وتتدلى منه وتتصارع مع بعضها، أما الأرض فهى مسلحة بعقارب سامه وفى الوسط كان ملك الشر قابعاً في ما يشبه القفص الضبابى فى مهابة ورعب، له وجه حاد النظر وقرنان معقوفان، ويخرج شعاع أحمر من عينيه في اتجاه ما ينظر إليه وتنبعث من كل أرجاء القلعة أصوات فحيح الثعابين، أما على يمين العرش فقد كانت فوهة البركان تقتحم المكان يتصاعد منها دخان مستمر، وربطت من أعلى السقف سلسلة تتدلى وتنتهى بخيط يحمل جوهرة تلمع كأنها كوكب من السماء:



ـ مؤمن.. انظر إلى الجوهرة.. يا إلهى كيف يمكن أن نحصل عليها.. مؤمن.. إسرع بالخروج...

وأندفعا يخرجان بسرعة حين اتجهت العقارب والحيات نحوهما وكأنهما يفران من سجن رهيب .

ـ عثمان.. هيا.. اربط حذاءك جيداً.. هذه الأشياء تريد الفرار من الجحيم أكثر من أن تفكر فى إيذائنا .

ـ مؤمن.. !

ـ فلْتبق مكانك إذا أردت..، فأنا ذاهب.. لأنتزع الجوهرة كى أشَلّ حركة الشيطان وأقتله...

وعلت الأصوات وازدادت الضوضاء ومؤمن يتقدم واضطر عثمان أن يتبعه وهو فى غاية الرعب والاضطراب .

ـ مؤمن.. إلى أين..

ـ اسمع يا عثمان.. إن فوهة البركان أوسع من أن يمكننى التقاط الجوهرة من فوق حافتها بهذا الحبل سأتمكن من ذلك.. سأربطه فى أى جدار ثم أتعلق وأندفع فى الإتجاه المقابل ماراً بالجوهرة فآخذها.

ـ انصت يا مؤمن.. ألا تسمع شئ..

ـ لا.. إنها أصوات الثعابين لا أكثر يا عثمان.

ـ مؤمن.. انتظر.. أكاد أسمع صوتاً.. إنَّه.. صوت رشاد..

ـ رشاد فى سجن تحت عرش الملك يا عثمان.. ألم تحفظ وصية العجوز.. إنه فى سجن عميق.

ـ لا يا مؤمن.. لا.. إنه صوت أخى.. لا شئ يخدعنى

فى صوته أبداً.. أنصت.. أنصت.

أرهف مؤمن وعثمان السمع.. وبعد برهة شعر مؤمن أن هناك من ينادى.. كان الصوت ضعيفاً « عثمان.. أنا هنا يا عثمان.. أنا أشعر بوجودك.. عثمان.. أنا هنا »

صرخ عثمان وهو يكاد يطير قلقاً على أخيه:

- أين أنت يا رشاد.. أين أنت يا أخى

وهنا زاد الصوت وتبين لهما أنه بالفعل رشاد:

- أنا هنا.. إياك أن تنتزع الجوهرة..

نظر مؤمن إلى عثمان عجباً ثم تركاه يكمل كلامه:

- لو نزعت الجوهرة سيسقط القفص الذى فيه أنا

وبقية زملائى من العلماء يجب قبل أن تنزعها أن تقتحم عرش الملك ولكن تجنب يا عثمان الخطر.

ـ أى خطر يا رشاد.. هل تسمعنى؟.

ـ اسمعنى يا أخى.. لو التقى الشعاع الأحمر الذى يصدر من عينى الملك على الجوهرة لا ندفعت كالقذيفة إلى مربط القفص فيدور الترس ونهبط بقفصنا فى فوهة البركان.

ـ إذاً اطمئن يا رشاد.. اطمئن.. كل شئ سيكون على ما يرام.

وقف مؤمن حائراً وهو ينظر للجوهرة ثم للعرش ثم لعثمان:

ـ أرأيت يا عثمان.. لقد خدعتنا العجوز الماكرة.

- الحمد لله.. هذا أيضاً شئ تعلمته من تجارب الزمن والحياة يا مؤمن.. أن لا نثق فى كل إنسان، كما لا يجب أن نخبره بما نكنه من أسرار أيضاً .

- حقاً.. كيف وثقنا بها.. ونحن لا نعرفها؟.. وهى شريرة لقد أرادت هلاكنا.. الحمد لله..

- مؤمن.. ماذا ستفعل يا مؤمن؟.. المسألة أصبحت معقدة.. أنا لاأستطيع الصبر على هذه الكائنات المقززة وهى تحاول المرور على رجلى.

- الصبر يا صديقى.. إن المسألة أخطر مماكنت أتصور..، الآن لابد من مواجهة شرسة مع هذا الملك الشيطانى.. عثمان.. هل ترى مربط القفص فى سقف القلعة؟

ـ نعم.. وأرى الترس الذى يلتف عليه الحبل.. لابد أنه الحبل الذى ربط فى القفص..، مؤمن كن حذراً.. أى خطأ سيسقط أكبر العلماء من بينهم أخى إلى قاع البركان وتلتهمهم الحمم .

كان مؤمن فى حالة تركيز ذهنى وهو يسحب سهماً من جعبته. ويسدده نحو الملك، ثم شد القوس وأنطلق السهم ليصيب صدر الملك فقام ثائراً يصرخ فرمى مؤمن القوس إلى عثمان وشهر الشيف واندفع نحو العرش.. وأخذ عثمان القوس ليغطى ظهر مؤمن، وأخذ يسدد الأسهم نحو الملك وفوجئ مؤمن بالملك يشهر سيفاً كبيراً ودارت بينهما مبارزة حامية بينما كان الشعاع الأحمر الذى ينبعث من عين الملك

ويذهب في كل اتجاه فيحرقه وحاول عثمان أن ينهك الملك بالسهام، أما مؤمن فقد بدأ يصاب بالإعياء تحت ضربات السيف الثقيل، وكان جل همه أن يطعن الملك في قلبه.. وراح الملك يقذف عثمان بشعاع عينيه الأحمر القاتل ولكن عثمان كان يحتمي بفوهة البركان ويصيح في مؤمن:

ـ اقتله يا مؤمن.. اقتله..

وكان كلما نظر الملك نحو الجوهرة شاغله مؤمن في اتجاه آخر وعالجه عثمان بسهم سديد.. وفي سرعة وجّه الملك شعاع عينيه الحمر نحو الجوهرة فانطلقت كالقذيفة نحو مربط قفص العلماء فانحل الوثاق وبدأ القفص يهبط شيئاً فشيئاً. وصرخ عثمان

وصرخ العلماء ونظر مؤمن إليهم فهاله ذلك فأسرع في قتال الملك واشتد عليه وبسرعة وحماس كَبّر تكبيرات مدوية ثم غامر بالاقتراب من ذراع الملك الطويلة، ثم تفادى ضربة قاتلة وطعن الملك طعنه أردته في الحال قتيلاً.

وكان القفص ما يزال في طريقه إلى الفوهه، وكان العلماء ينظرون من فوق نحو حمم البركان وهى تغلى وتفور وكان عثمان يصرخ وقد جعله الموقف عاجزاً عن التصرف.. ولكن مؤمن كان أسرع في المبادرة.. فقد حل الحبل ذى الخطاف وطَوّح الخطاف نحو نوافذ القلعة العلوية، ثم تعلق بالحبل وطوح نفسه من جدار إلى آخر والقفص يكاد يلمس فوهة

البـركان وصـراخ الأسـرى يصـم الآذان، ثـم اندفع نحـو الجوهرة التي أصابت مربط القـفص وأطبق عليها بيده فى اللحـظة الحاسـمة القـاتلة فنجـح مؤمن في انـتزاع الجـوهرة من مكانهـا ثم أعـاد الذراع لمكانهـا فتـوقف القـفـص عن الهـبـوط وقـاعـدته تكاد تـلمس سـطح الحـمم، وكـان عـثـمـان قـد أغـشي عليـه من الفـزع، وعالج مؤمن على الفور مفتاح القفص واندفع العلماء يخـرجـون.. وحـملوا عـثـمـان وخـرجـوا ليـجـدوا كل الصـور قـد تغـيـرت.. فـالغيـوم أصـبـحـت أرضـاً بيـضـاء مـسطحـة وفـوجـئ الجـمـيـع بمؤمن وهو يأمــرهـم أن ينبطحـوا أرضـاً فى الحـال ثـم قـذف سـهـمـاً، ولما نظروا نحو مرمى السـهم كانت العجوز الشريرة تسقط وهي

تحمل فى يدها قوساً بسهم مسموم.

وهنا آفاق عثمان ونظر إلى رشاد الذى اندفع نحوه وأخذه بين ذراعيه وبكيا كثيراً وقال مؤمن:

ـ أيها العلماء الأفاضل كنتم ذهبا للشيطان بما وصلتم إليه من علم.. أسركم الشيطان فى العلم.. ولكنكم الآن أقوى من ذى قبل.. لقد وهبكم الله الحياة مرة أخرى.. حتى تثبتوا لكل الخلق أن العلم هو علم الله..

وإنه لا يخشى اللهَ من عِبَادِهِ إلا العلماء.. أيها العلماء إن أدعياء العلم فى هذا الزمان يكفرون بالله وتخدعهم الطبيعة.. اقرأوا القرآن وانظروا فى أنفسكم وفى الآفاق كلها لتعلموا أن فوق كل ذى

علم عليم وأن الله هو العزيز العليم .

واستمروا يسيرون مبتهجين فى رحلة العودة إلى الأرض وإلى الناس وكل واحد منهم يحمل رسالة عليه أن يؤديها . وكان عثمان فرحاً بالعثور على أخيه وكان رشاد فرحاناً بالعثور على هدفه وبغيته.. ، وكان مؤمناً فرحاً بالجوهرة التى عانى من أجلها كثيراً وراح يحمد الله حمداً كثيراً .

تمت بحمد الله تعالى